المبحث الخامس

علماء الكلام ومسألة الصفات

أولاً: رأي الجهمية في مسألة الصفات.

ثانيًا: رأي المعتزلة في مسألة الصفات.

ثالثًا: رأي الأشاعرة في مسألة الصفات.

رابعًا: موقف أهل السنة من مسألة إثبات الصفات

خامسًا: الصفات الخبرية

obeikandi.com

المبحث الخامس
علماء الكلام ومسألة الصفات

أولاً: رأي الجهمية في مسألة الصفات:

الجهمـــية لا يصفون الله بشيء. يقول البغدادي عن الجهم: "امتنع وصـــف الله تعالى بأنه شيء أو حي أو عالم أو مريد، وقال: لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره كشيء وموجود، وحي، وعالم، ومريد، ونحو ذلك"[(١)].

ويقول الأشعري في مقالاته: ويحكى عن جهم أنه كان يقول: لا أقـــول إن الله سبحانه شيء، لأن ذلك تشبيه له بالأشياء[(٢)]، ومن ذلك نلاحظ أن الجهمية ينفونَ الأسماء والصفات، زاعمين أن الإثبات يؤدي إلى التشبيه.

والحقيقة أن تعطيل الأسماء عن معانيها، وجحد حقائقها إلحاد في أسمائه تعالى، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم أنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني، فيطلقونَ عليه اسم "**السميع**"، و"**البصير**"، و"**الحـــي**"، و"**الرحيم**"، و"**المتكلم**"، و"**المريد**"، ويقولون: لا حياة له، ولا سمـــع، ولا بصـــر، ولا كلام، ولا إرادة تقوم به. وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً وشرعًا ولغة، وهو يقابل إلحاد المشركين، فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم، وهؤلاء سلبوهُ صفات كماله وجحدوها وعطلوها، فكلاهما ملحد في أسمائه[(٣)].

---

(١) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص١٩٩.

(٢) الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، جـــ١، ص٣٣٨.

(٣) ابن القيم، بدائع الفوائد، جـــ١، ص١٩٦.

ثانيًا: رأي المعتزلة في الأسماء والصفات:

يثبت المعتزلة أسماء الله عز وجل وينفونَ الصفات، وحتى إثباتهم للأسماء إنما هو إثبات لألفاظها دون معانيها، فيقولونَ مثلاً: إن الله تعالى عالم بلا علم، وقادر بلا قدرة، وحي بلا حياة.

يقول البغدادي: يجمع فرق المعتزلة كلها في بدعتها أمور، منها: نفيها كلها عن الله عز وجل صفاته الأزلية، وقولها بأنه ليس لله عز وجل علم، ولا قدرة، ولا حياة، ولا سمع، ولا بصر، ولا صفة أزلية[(١)].

ويقول الشهرستاني: والذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد: القول بأن الله تعالى قديم، والقدم أخص وصف ذاته. ونفوا الصفات القديمة أصلاً، فقالوا: هو عالم بذاته، قادر بذاته، حي بذاته، لا بعلم وقدرة وحياة هي صفات قديمة، ومعان قديمة به، لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركه في الإلهية[(٢)].

ثالثًا: رأي الأشاعرة في مسألة الأسماء والصفات:

يثبت الأشاعرة الأسماء لله تعالى إثباتًا حقيقيًا بألفاظها ومعانيها، أمّا بالنسبة للصفات فإنهم لا يثبتون منها إثباتًا حقيقيًا سوى سبع من الصفات الذاتية وهي: العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر، والكلام.

أمّا سوى هذه الصفات السبع، فإنهم يتأولوها أو يفوضون العلم بمعناها إلى الله عز وجل، وهم يدعون أنهم يفعلونَ ذلك تتريهًا لله تعالى عن مشابهة مخلوقاته.

---

(١) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٩٣.

(٢) الشهرستاني، الملل والنحل، جـ١، ٤٣، ٤٤.

رابعًا: موقف أهل السنة من مسألة إثبات الصفات:

يقـــول العلامـــة حافظ المغرب الكبير ابن عبد البر: "أهل السنة مجمعونَ على الإقرار بالصفات الواردة كلها في الكتاب والسنة والإيمان بهـــا وحمـــلها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك، ولا يجدون فيه صفة محصورة.

وأمّـــا أهـــلُ البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج، فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئًا منها على الحقيقة، ويزعمونَ أن من أقرَّ بها مشبِّه وهم عند من أثبتها نافونَ للمعبود والحق فيما قاله القائلونَ بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله، وهم أئمة الجماعة والحمد لله[1].

فـــأهل السنة لا يخرجون في إثبات الأسماء والصفات لله عز وجل عن الكتاب والسنة ويؤمنونَ إيمانًا راسخًا بما فيها، ويكلون الكيفية في الصفات إلى علم الله -تبارك وتعالى-.

وإن أهـــل السنة والجماعة لا يقولونَ في أسماء الله تعالى وصفاته العلى بغير ما جاء في كتابه أو سنته.

وقـــد بين الإمام الخطابي -رحمه الله- مذهب السلف في الإثبات ونفي التشبيه والكيفية فقال: «إن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهـــرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله تعـــالى، وحققهـــا قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، وإنما القصد بسلوك الطريقة المستقيمة والتكييف بين الأمرين، ودين الله تعالى بين الغالي فيه والجافي والمقصر عنه، والأصل في هـــذا أن الكـــلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، ويحتذى في

---

(١) ابن عبد البر، التمهيد، جـــ٧، ص١٤٥.

ذلـــك حذوه ومثاله، فإذا كان معلومًا أن إثبات الباري تعالى إنما هو إثـــبات وجـــود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فإذا قلنا يد وسمعٌ وبصر وما أشبهها، فإنمـــا هي صفات أثبتها الله لنفسه، ولسنا نقول: إن معنى اليد القوة أو الـــنعمة، ولا معـــنى السمع والبصر العلم، ولا نقول إنها جوارح، ولا نشـــبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للعقل، ونقـــول: إن القول إنما وجب بإثبات الصفات؛ لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها، لأن الله ليس كمثله شيء، وعلى هذا جرى قول السلف في أحاديث الصفات»[1].

وابـــن القـــيم يرى بأن مفهوم الصفات غير مفهوم الذات، وهو بذلـــك يخـــالف المعتزلة والجهمية النفاة الذين لا يفرقون بين الذات والصفات.

ويســـتدل ابن القيم على رأيه بأن الصفات زائدة على ذاته تعالى بأدلـــة كـــثيرة يذكـــر منها أسماء الله الحسنى، فإن كل اسم من أسمائه الحسنى مشتمل على معنى زائد على الذات، فإن لم تكن الصفات زائدة عـــلى الذات لصارت أسماؤه جامدة مترادفة كالأعلام المحضة، فالأسماء لأنهـــا مشتقة من الصفات، فهي أسماء وهي أوصاف، وبذلك كانت حسنى، ولو كانت هذه الأسماء ألفاظًا لا معاني لها لم تكن حسنى، ولم تكن دالة على مدح ولا كمال، ولساغ وقوع أسماء الانتقام والغضب في مقام الرحمة والإحسان وبالعكس.

ولو لم تدل أسماء الله تعالى على معان وأوصاف لم يسغ أن يخبر عنه بمصادرها، وأن يوصف بها، لكنه أخبر عن نفسه بمصادرها، وأثبتها

---

(١) ابن تيمية، الفتاوى، جـــ٥، ص٨٥.

لنفسه كما في قوله تعالى: ﴿إن الله هو الرزاقُ ذو القوة المتين﴾ [الذاريات: ٥٨]، فعلم أن القوي من أسمائه، ومعناهُ الموصوف بالقوة[1].

خامسًا: الصفات الخبرية:

الصفات الخبرية هي الصفات التي ثبتت لله تعالى من خلال كتابه تعالى والسنة الصحيحة من غير دليل عقلي كإثبات اليد والوجه، والساق، والقدم، والاستواء، والضحك من خلقه وغيره مما جاء في الكتاب والسنة.

والحقيقة أن الصفات الخبرية تنقسمُ إلى ثلاثة أقسام: صفات خبرية ذاتية، كاليد والعين والوجه، والإصبع، والقدم، وصفات خبرية فعلية كالاستواء على العرش والمجيء يوم القيامة، وكتروله إلى سماء الدنيا في النصف الأخير من كل ليلة، وصفات خبرية كيفية كفرحه ورضاهُ عن المؤمنين وغضبه وبغضه للكافرين وكضحكه من عباده.

وابن القيم يؤكد على ثبوت هذه الصفات الخبرية جميعًا مبينًا أن ذلك من الضرورات العقدية والشرعية فلا بد أن يوصف الله سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل تثبت له الأسماء والصفات، وتنفي عنه مشابهة المخلوقات، فيكون إثباتك متزهًا عن التعطيل، فمن نفى حقيقة الاستواء فهو معطل، ومن شبهه باستواء المخلوق فهو ممثل، ومن قال: استواء ليس كمثله شيء فهو الموحد المتزه[2].

---

(١) ابن القيم، مدارج السالكين، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٢، جـ١، ص٢٨.

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين، جـ٢، ص٨٥.

وهـذا يعني أن ابن القيم يرفض التأويل ويثبت الصفات لله تعالى كما جاءت من غير مشابهة أو مماثلة.

ويرى ابن القيم أن هذه الطريقة أي طريقة إقرار الصفات الخبرية، وإمرارها كما جاءت بها النصوص الشرعية دون تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، هي طريقة سادات الأمة صحابة رسول الله ﷺ، فإنهم لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة بل تلقوها بالقبول والتسليم، وأجروها على سنة واحدة[1].

ويبرهن ابن القيم على مسألة إثبات الصفات الخبرية لله تعالى بأوجه ثلاثة: الأول أن الشرع ورد بهذه الصفات ثناء على الله تعالى ومدحًا له، وثانيًا: أن هذه الصفات من لوازم الكمال المطلق لله تعالى، فإن استواءه على العرش من لوازم علوه سبحانه وتعالى، وهكذا سائر الصفات. وثالثًا: أن هذه الصفات من لوازم أسماء الله تعالى، فإن اسم "العلي" يستلزم العلو المطلق من جميع الوجوه، علو القهر وعلو الذات، فمن جحد علو الذات فقد جحد لوازم اسم "العلي"[2].

هكذا يؤكد ابن القيم على هذه الحقيقة الهامة عنده وهي أن الصفات عنده حكمها حكم الذات، فكما أن ذاته تعالى لا تشبه الذوات، فكذا صفاته تعالى لا تشبه الصفات، ولهذا فإن تأويل آيات الصفات وأخبارها بما يخرجه عن حقائقها هو أصل فساد الدين والدنيا، وسبب تعطيل الشرائع.

إن ابن القيم في مسألة الصفات الخبرية يثبت لله سبحانه وتعالى

---

(١) ابن القيم، إعلام الموقعين، جـ١، ص٤٩، وما بعدها.

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين، جـ١، ص٣٠.

جميع ما وصف به نفسه، وما وصفه به نبيه ﷺ، ويقول: إننا نثبت الصفات فلا ننفيها، وإننا لا نتعدى بها اسمها الخاص الذي سماها الله به، بل نحترم الاسم كما نحترم الصفة، فلا نعطل الصفة ولا نُغيرها اسمًا آخر، كما تسمى الجهمية والمعطلة سمعه وبصره وقدرته أعراضًا، ويسمو وجهه ويده وقدمه سبحانه جوارح وأبعاضًا، ويسمون حكمته وغايه فعله المطلوبة عِلَلاً وأغراضًا، ويسمون أفعاله القائمة به حوادث، ويسمون علوه على خلقه، واستوائه على عرشه تحيزًا، ويتوصلونَ بهذا المكر الكبار إلى نفي ما دل عليه الوحي والفطرة وآثار الصنيعة من صفاته.

إن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فالعارفونَ به المصدِّقونَ لرسله، المقرونَ بكماله، يثبتونَ له الأسماء والصفات، وينفونَ عنه مشابهة المخلوقات، فيجمعونَ بين الإثبات ونفي التشبيه، وبين التتريه وعدم التعطيل(١).

الصفات الذاتية والصفات الفعلية

الصفات الذاتية، وهي الصفات اللازمة لذات الله سبحانه وتعالى، لا تنفكُ عنها بحال من الأحوال مثل العلم، والقدرة، والحياة، والعلو، والوجه.

وأمّا الصفات الفعلية:

وتسمى الصفات الاختيارية فهي المتعلقة بالمشيئة والإرادة، مثل الخلق، والرزق، والاستواء، ويعرف شيخ الإسلام الصفات الاختيارية

(١) ابن القيم، مدارج السالكين، ط دار المنار، القاهرة، جـ٣، ص٢٣٠.

بأنّهـــا: "الأمور التي يتصفُ به الله تعالى فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته، مـــثل كلامـــه، وسمعه، وبصره، وإرادته، ومحبته، ورضاه، ورحمته، وغضـــبه، وســـخطه، ومثل إحسانه، وعدله ومثل استوائه، ومجيئه، وإتيانه، ونزوله، ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسنة"[١].

اليدان من الصفات الذاتية:

وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أن لله يدين، وكذا نجـــد في الســـنة النبوية الشريفة مصداق ذلك، وإننا نُصدِّق لما جاء في القرآن والسنة، وهذا يعني أن لله تعالى يدين بلا كيف.

يقول عز من قائل في سورة "ص": ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرتَ أمْ كُنتَ مِنَ العَالِينَ﴾ [ص: ٧٥].

وفي حديث الشفاعة الذي أخرجه البخاري أن الناس يأتونَ آدم فيقولون: يا آدم، أما ترى الناس؟ خلقك الله بيده....

وفي حديث ثان: «يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بـــيده الـــيمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟، ثم يطوي الأرضين بيده الأخرى، ثم يقول: أنا الملك،....» [مسلم].

يقـــول الإمـــام ابن القيم –رحمه الله-: القبضُ والبسطُ، والطي باليمين، والأخذ، والوقوف عن يمين الرحمن، وتقليب القلوب بأصابعه، ووضـــعُ الســـماوات على أصبع، والجبال على أصبع، فذكر إحدى الـــيدين، ثم قوله: وبيده الأخرى، ممتنع فيه اليد المجازية، سواء كانت

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، جـــ٦، ص٢١٧.

بمعنى القدرة، أو بمعنى النعمة، فإنها لا يتصرف فيها هذا التصرف[1].

ويقــول الإمام البغوي في تفسيره: يد الله صفة من صفات ذاته، كالسمع والبصر والوجه.

ويقول الإمام أحمد –رحمه الله–: مَنْ زعم أن يداهُ نعمتاه، كيف يصنع بقوله تعالى: ﴿**خلقت بيدي**﴾ [ص:٧٥]، مشددة[2].

ويقــول رسول الله ﷺ : «**خلق الله الفردوس بيده وخلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة لموسى بيده**» [البيهقي][3].

فالــيد مــن الصفات الذاتية المتعلقة بذات الله تعالى، ولا تتعلق بالمشــيئة والاختيار فهي لا تنفك عن الباري جل جلاله باعتبارها من لــوازم الذات الإلهية، وإثبات اليدين للرب عز وجل هو مذهب أهل السنة والجماعة وذلك خلافًا لما قال به المعطلة من تأويل اليدين بالنعمة أو القدرة وهذا لا دليل عليه من الكتاب المجيد أو السنة الشريفة.

لكــن علماء الكلام وبخاصة المعتزلة أولوا صفة اليدين الواردة في القرآن الكريم إلى معنى القدرة والقوة والنعمة.

يقول القاضي عبد الجبار في تأويل قول الله تعالى: ﴿**ما منعك أن تســجد لمــا خَلَقْتُ بيدي**﴾ [ص:٧٥]. يقول: إن اليدين هاهنا بمعنى القوة[4].

---

(١) ابــن القــيم، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، اختصار محمد الموصلي، الرياض الحديثة، جــ٢، ص١٥٨.

(٢) أبي يعلى، إبطال التأويلات لأخبار الصفات.

(٣) البيهقي، الأسماء والصفات، ص٣١٨.

(٤) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص٢٢٨.

وقال أيضًا في تأويل قول الله تعالى: ﴿وقالت اليهودُ يَدُ الله مغلولة غُلَّت أيديهم ولُعنُوا بما قالوا بل يداهُ مبسوطتَان يُنفقُ كيفَ يشاء﴾ [المائدة: ٦٤]. قالَ: تأويل قوله تعالى (بل يداهُ مبسَوطتَان) أي: نعمتاهُ، كما يقال: لفلان عندي يد، وأياد، وأراد الله تعالى بذلك نعم الدنيا والدين(١).

الحقيقة أن قول الله تعالى: (ما منعك أن تسجد لما خلقتُ بيدي) ليس معنى اليد هنا القوة كما قال القاضي عبد الجبار وغيره من المعتزلة. فالناظر ببصيرة ودقة يستطيع أن يقول أنها لا تحتملُ إلا معنى واحد هو إثبات صفة اليدين لله سبحانه وتعالى، فالنص دليل واضح على أن الخالق سبحانه وتعالى خلق آدم بيده، أي فعل الفعل بيده، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله تعالى: (لما خلقتُ بيدي) أنه نص في أنه فعل الفعل بيديه، ولهذا لا يجوزُ لمن تكلم ومشى، أن يقال: فعلتُ هذا بيديك، ويقال: هذا فعلته يداك، لأن مجرد قوله: فعلت، كاف في الإضافة إلى الفاعل، فلو لم يرد أنه فعله باليد حقيقة كان ذلك زيادة محضة من غير فائدة(٢).

ونحنُ نقول بما يقوله أهل السنة والجماعة والسلف الصالح رضوان الله عليهم إن لله تعالى يدين بلا كيف، فالله سبحانه وتعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ .

ولقد أوَّلَ المعتزلة صفة اليدين لله عز وجل بأنها تعني القدرة، مع أن النصوص الشرعية تثبت اليدين لله تعالى بلا تكييف ولا تمثيل يقول تعالى: ﴿بل يداهُ مبسوطتان﴾ [المائدة:٦٤]، وقال تعالى: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقتُ بيدي﴾ [ص:٧٥].

---

(١) القاضي عبد الجبار، تتريه القرآن عن المطاعن، دار النهضة الحديثة، بيروت، ص١٢٠.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ٦، ص٣٦٦.

والحقـيقة أن العلامة ابن القيم رد على المعتزلة المؤولة ردًا عنيفًا وذكر عشرين وجهًا في رده سأذكر منهم وجهين فقط.

الوجه الأول: أن الله تعالى أنكر على اليهود نسبة يده إلى النقص والعيب، و لم ينكر عليهم إثبات اليد له تعالى، فقال: **﴿وقالت اليهودُ يـدُ الله مغلولة غُلّتْ أيديهم ولُعنوا بما قالوا بل يداهُ مبسوطتان﴾** فلعنهم على وصف يده بالعيب دون إثبات يده، وقدّر إثباتها له زيادة على ما قالوا بأنها يدان مبسوطتان، فدل ذلك على ثبوت اليد حقيقة لله تعالى[١].

الوجه الثاني: أن هذا التركيب المذكور في قوله تعالى: (ما منعك أن تسـجد لم خلقتُ بيدي) يأبى حملُ الكلام على القدرة، لأنه نسب الخلـق إلى نفسه سبحانه وتعالى، ثم عدى الفعل إلى اليد، ثم ثناها، ثم أدخل عليها الباء التي تدخل على قولك كتبتُ بالقلم، ومثل هذا نص صريح لا يحتمل المجاز بوجه[٢].

صفة اليدين عند أهل السنة والجماعة:

يقول العلامة ابن خزيمة –رحمه الله-: نحنُ نقول: الله جل وعلا لـه يدان، كما أعلمنا الخالق البارئ في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ[٣].

---

(١) الموصلي، مختصر الصواعق لابن القيم، جـ٢، ص١٥٨.

(٢) مرجع سابق، جـ٢، ص١٥٧.

(٣) ابن خزيمة، التوحيد، ص٥٦.

الوجه

يؤول المعتزلة صفة الوجه لله تعالى التي وردت في كتاب الله العزيز في قوله عز من قائل: ﴿كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وَجْهَهُ﴾[القصص:٨٨]، وقوله تعالى: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن:٢٧]، ويزعمونَ أن المراد بالوجه في الآيتين إنما هو الذات.

فيقولى القاضي عبد الجبار: قول الله تعالى: ﴿كل من عليها فان* ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن: ٢٦،٢٧]، لا يدلُ على إثبات وجه له، تعالى عن قولهم، وذلك لأن الوجه قد يرادُ به ذات الشيء، وعلى هذا تقول العرب: هذا وجه الرأيِ، ووجه الأمر، ووجه الطريق، ومتى كان الكلام فيما لا بعض له، فلا شك أن المراد به ذاته[١].

أمَّا الأشاعرة وخاصة المتقدمين منهم كإمامهم أبو الحسن الأشعري فإنهم يثبتونَ صفة الوجه لله تعالى.

يقول أبو الحسن الأشعري: فمن سألنا، فقال: أتقولونَ إن لله سبحانه وتعالى وجهًا؟ قيل له: نقول ذلك، خلافًا لما قاله المبتدعون[٢].

كذلك فإن الإمام ابن فورك وهو من رؤوس الأشاعرة يثبت هذه الصفة الشريفة لله عز وجل فيقول: إن أطلاق وصف الله عز وجل بأن له وجهًا قد ورد به نص الكتاب والسنة، وذلك من الصفات التي لا سبيل إلى إثباتها إلا من جهة النقل[٣].

---

(١) القاضي عبد الجبار، متشابه القرآن، تحقيق د/ عدنان زرزور، دار التراث بالقاهرة، ص٦٣٧.

(٢) أبو الحسن الأشعري، الإبانة، ص٤١.

(٣) محمد بن فورك، مشكل الحديث وبيانه، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ، ص١٧٢.

والحقيقة أنه جاءت صفة الوجه لله تعالى في أحاديث نبوية كثيرة، فقــد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ استعاذ بوجه الله، فقال: «**أعــوذُ بوجهــك**»، ولو كان الوجه هنا هو الثواب كما زعم بعضُ المعتزلة لما جازت الاستعاذة به؛ لأن الثواب مخلوق، ولا يجوز الاستعاذة بمخلــوق. ولقد كان من دعاء رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قوله: «**أعــوذُ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم**» [أبو داود].

صفة العين

أول عــلماء الكلام صفة العين الواردة في نصوص القرآن الكريم تأويلاً ينفي صفة العين لله سبحانه وتعالى مع أنه الواجب الوقوف مع النص نفيًا وإثباتًا، فينفي عنه سبحانه وتعالى ما نفاهُ عن نفسه، ويثبت له ما أثبته لنفسه، من غير تمثيل ولا تحريف، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**لــيس كمثله شيء**﴾ [الشورى: ١١]، فلا يلزم من الاشتراك في اسم الصــفة، وفي معــناها الكلي المشترك بين الخالق والمخلوق أن يتساويا ويتشــابها في المعنى الخاص لكل منهما فسبحانه وتعالى الخالق عز وجل لا مثيل ولا شبيه له.

وقــد جاءت نصوص القرآن الكريم وهي كثيرة تؤكد بصراحة إثــبات العــين لله –عز وجل–. يقول تعالى: ﴿**ولتُصنعَ على عيني**﴾ [طــه: ٣٩]. ويقــول: ﴿**واصنع الفُلكَ بأعيننا**﴾ [هود: ٣٧]، وقد فسر علماء الكلام صفة العين بمعنى الرؤية والبصر أو الرعاية والحفظ أو بمعنى العــلم. يقــول القاضي عبد الجبار المعتزلي في تأويله لقول الله تعالى: ﴿**ولتصنع على عيني**﴾ أن المراد به لتقع الصنعة على علمي، والعينُ قد

تورد بمعنى العلم، يقالُ: جرى هذا بعيني، أي جرى بعلمي[(١)].

والحقـــيقة أن السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين متفقونَ على إثباتِ صفة العين لله تعالى كما جاءت في نصوص القرآن والسنة، وفي الحديث الشريف الذي رواهُ البخاري عن عبد الله بن عمر –رضي الله عـــنهما– قال: إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور، وأشارَ بـــيده إلى عينه، وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبةٌ طافية.

قال الإمام الدارمي في رده على المريسي المعتزلي: ففي تأويل قول رسول الله ﷺ: «**إن الله ليس بأعور**» بيان أنه بصير ذو عينين، خلاف الأعور[(٢)].

فالواجب الإيمان بما جاء من صفات الله تعالى في الكتاب والسنة مـــع اعتقاد أن صفاته سبحانه وتعالى لا تشبه صفات أحد من خلقه، فسبحانه وتعالى (ليس كمثله شيء).

صفــة القــدم

صـــفة القـــدم: صفة من الصفات الذاتية المتعلقة بذات الباري سبحانه وتعالى.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: «**تحاجـــت الجـــنة والـــنار، فقالت النار: أوثرتُ بالمتكبرين والمتجـــبرين، وقالـــت الجـــنة: فمـــالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس**

---

(١) القاضـــي عـــبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، تحقيق د/ عبد الكريم العثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٨٤هـــ، ص٢٢٧.

(٢) عقائد السلف، ص٤٠٦.

وسقطهم وعجزهم. فقال الله للجنة: أنتِ رحمتي أرحمُ بك مَن أشاء من عبادي. وقال للنار: أنتِ عذابي، أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكم ملؤها، فأمَّا النار فلا تمتلئ، فيضعُ قدمه عليها، فتقول: قط. قط، فهنالك تمتلئ، ويزوي بعضها إلى بعض».

وجاء في الصحيحين أيضًا عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال جهنم تقول هل من مزيد، حتى يضع فيها ربُ العزة تبارك وتعالى قدمه فتقول قط قط، وعزتُك ويزوي بعضُها إلى بعض**».

ويقول الإمام الترمذي في سننه: قد رُوي عن النبي ﷺ روايات كثيرة يُذْكر فيها أمر الرؤية، وأن الناس يرون ربهم، وذكر القدم وما أشبه هذه الأشياء. والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل: سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وعبد الله بن المبارك، وسفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح وغيرهم، أنهم رووا هذه الأشياء ثم قالوا: نروي هذه الأحاديث ونؤمنُ بها ولا يقال: كيف. وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء كما جاءت ويؤمن بها، ولا تفسر، ولا تتوهم، ولا يقالُ كيف. وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه(١).

هكذا نلاحظ أن أهل الحديث وأهل السنة والجماعة تلقوا بالقبول هذه الأحاديث الصحيحة، وأمروها كما جاءت دون أي خوض في الكيفية.

---

(١) سنن الترمذي، جـ٤، ص٦٩٢.

صفة الأصابع

يثبت أهل السنة والجماعة صفة الأصابع لله عز وجل، من غير تكييف ولا تمثيل، فقد جاءت هذه الصفة الذاتية في السنة المطهرة حيث قال رسول الله ﷺ: «**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**» ثم قال ﷺ: «**اللهم مُصرِّف القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك**» [مسلم].

وقد رد علماء السنة على المعتزلة الذين يؤولونَ هذه الصفة بالقدرة، فقد قال الإمام الدارمي في رده على بشر المريسي المعتزلي: «ورويتَ أيهُا المريسي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**» فأقررتَ أن النبي قاله، ثم رددته بأقبح محال وأوحش ضلال، ولو دفعت الحديث أصلاً كان أعذر لك من أن تقر به ثم ترده بمحال من الحجج، وبالتي هي أعوج، فزعمت أن أصبعي الله قدرتاه، وكذلك قوله: ﴿**والأرضُ جميعًا قبضتُه يوم القيامة**﴾ [الزمر: ٦٧]. أي في ملكه، فيقال لك أيها المعجب بجالهته: في أي لغات العرب وجدت أن أصبعيه قدرتيه، فأنبئنا بها، فإنا قد وجدناها خارجة من جميع اللغات، إنما هي قدرة واحدة قد كَفَتْ الأشياء كلها وملأتها، واستنطقتها، فكيف صارت القلوب من بين الأشياء بين قدرتين، ولم تعدها قدرة، فإن النبي ﷺ قال: «**بين أصبعين من أصابع الرحمن**» وفي دعواك هي أكثر من قدرتين وثلاث وأربع حكمت فيها للقلوب بقدرتين، وسائرها لما سواها ففي دعواك هذا أقبح محال وأبين ضلال»(١).

---

(١) الإمام الدارمي، الرد على بشر المريسي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٥٨ هـ، ص٥٩.

ومـــن ذلـــك كله يتبين لنا أن أهل السنة والجماعة يثبتونَ صفة الأصابع لله عز وجل لورودها في الكتاب والسنة بما يليقُ بجلال الباري جلَّ وعلا من غير تكييف ولا تمثيل.

صفـــة العـــلو

أول عـــلماء الكلام صفة العلو وهي من الصفات الذاتية، مع أن الآيـــات في إثبات صفة العلو والفوقية واضحة وصريحة ولا تحتاج إلى صَرف معناها، وتأويلها تأويلاً غير دقيق وغير صحيح.

فـــالله ســـبحانه وتعـــالى يقول في سورة الملك: ﴿**أأمنتم مَنْ في الســـماء أن يخســـف بكم الأرض فإذا هي تمور**﴾ [المُلك: ١٦]. فقوله تعالى: (أأمنتم من في السماء) ظاهره أنه سبحانه وتعالى في السماء، أن أنه عز وجل في العلو حقيقة لا مجازًا.

ومـــن العجيب أننا نجدُ معتزليًا كبيرًا كالقاضي عبد الجبار ينكر صـــفة العلـــو، ويؤول آية ((الملك)) السابقة بقوله: ((أي إن في السماء نقماته، وضروب عقابه، لأن عادته أن يترلها من هناك))(١).

هكـــذا يصرف معنى العلو الواضح في الآية إلى معنى مجازي بعيد عن المعنى الصحيح.

وكذلك يقول الزمخشري المعتزلي في تفسيره الكشاف، يقول: في تأويل هذه الآية وجهان:

أحدهما: من ملكوته في السماء، لأنها مسكنُ ملائكته، وثم عرشه وكرســـيه، واللـــوح المحفـــوظ، ومنها تترل قضاياه، وكتبه، وأوامره، ونواهيه.

---

(١) رسائل العدل والتوحيد، ص٣٣٣.

والثاني: أنهم كانوا يعتقدون التشبيه، وأنه في السماء، وأن الرحمة والعذاب يترلان منه، وكانوا يدعونه من جهتها، فقيل لهم على حسب اعتقادهم: أأمنتم من تزعمون أنه في السماء، وهو متعال عن المكان أن يعذبكم[١].

إنّ معنى الآية واضح لا يحتاج إلى تأويل. ويؤكد إثبات صفة العلو حديث الجارية، فقد سألها رسول الله ﷺ صراحة: ((**أين الله؟**))، فقالت: ((في السماء))، فقال النبي ﷺ: ((**أعتقها فإنها مؤمنة**)).

هكذا نطقت الجارية بصراحة: في السماء، وأقرها رسول الله ﷺ على إجابتها. يقول الإمام الدارمي –رحمه الله-: ففي حديث رسول الله ﷺ هذا دليلٌ على أن الرجل إذا لم يعلم أن الله عز وجل في السماء دون الأرض فليس بؤمن، ألا ترى أن رسول الله ﷺ جعل أمارة إيمانها معرفتها أن الله في السماء[٢].

إن العلو من صفات الكمال للذات الإلهية، والله سبحانه وتعالى متصف بالعلو المطلق من جميع الوجوه ذاتًا وقدرًا وقهرًا. يقول تعالى: ﴿**سبح اسم ربك الأعلى**﴾ [الأعلى:١].ويقول عز من قائل: ﴿**وسع كُرسيّه السماوات والأرض ولا يؤودُه حفظهما وهو العلي العظيم**﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقد صرَّح الله تعالى بالفوقية بقوله: ﴿**يخافونَ ربهم من فوقهم ويفعلونَ ما يؤمرون**﴾ [النحل:٥٠]. ولقد آشار رسول ﷺ إليه سبحانه

---

(١) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، جـ٤، ص١٣٨.

(٢) الدارمي، الرد على الجهمية، ضمن عقائد السلف، جمع وتحقيق علي سامي النشار، وعمار الطالبي، ط اسكندرية، ص٢٧٦.

وتعالى في حجة الوداع فقال: « **وأنتم مسئولونَ عني، فما أنتم قائلون؟** قالوا: نشهدُ أنك قد بلغت وأديت ونصحتَ، **ثم قال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد**» [مسلم].

ولما قُبض رسول الله ﷺ دخل عليه أبو بكر -رضي الله عنه- وقبله وقال: بأبي أنت وأمي طبتَ حيًا وميتًا، ثم قال: مَنْ كان يَعْبُدُ محمدًا فإنَّ محمدًا قد مات، ومن كان يعبدُ الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت[1].

ويروي البيهقي بإسناد صحيح إلى الأوزاعي قال: كنا والتابعونَ متوافرونَ نقول: إن الله جل ذِكرُه فوق عرشه، ونؤمنُ بما وردت السنة به من صفاته[2].

وقال الإمام ابن عبد البر -رحمه الله-: لم يزل المسلمونَ في كل زمان إذا دهمهم أمر وكربهم غم يرفعونَ وجوههم وأيديهم إلى السماء رغبة إلى الله عز وجل في الكشف عنهم[3].

ثبوت العلو بالفطرة:

إننا نلاحظ أن الناس جميعًا بفطرهم وطباعهم يرفعونَ أكفهم إلى السماء ويتجهونَ جهة العلو عند دعاء الله تعالى.

يقول الأشعري: رأينا المسلمين جميعًا يرفعونَ أيديهم إذا دعوا نحو السماء، لأن الله مستو على العرش الذي هو فوق السماوات، فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش[4].

---

(١) الذهبي، العلو، ص٦٢.

(٢) البيهقي، الأسماء والصفات، ص٤٨٠.

(٣) ابن عبد البر، التمهيد، تحقيق مصطفى العلوي، ومحمد البكري، جـ٢، ص٨١.

(٤) الأشعري، الإبانة في أصول الديانة، ص٩٧.

الدليل العقلي على علو الله:

علو الله -سبحانه وتعالى- ثابت بالفعل: «ذلك أن العلم البديهي بأن كل موجود إما أن يكون أحدهما ساريًا في الأخر قائمًا به كالصفات، وإما أن يكون قائمًا بنفسه بائنًا عن الآخر، لأنه لما خلق العالم فإما أن يكون خلقه في ذاته، أو خارجًا عن ذاته، والأول باطل لأمرين: الاتفاق على بطلانه لأنه يلزم أن يكون محلاً للحشائش والقاذورات، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا».

والثاني: يقتضي كون العالم واقعًا خارج ذاته فيكون منفصلاً، فتعينت المباينة لأن القول بأنه غير متصل بالعالم، وغيره منفصل عنه غير معقول.

إن كونه -سبحانه وتعالى- لا داخل العالم ولا خارجه يقتضي نفي وجوده بالكلية لأنه غير معقول، فيكون موجودًا إما داخله، وإمّا خارجه. والأول باطل، فتعين الثاني فلزمت المباينة[1].

من الصفات الفعلية:

صفة الاستواء

صفة الاستواء من الصفات الاختيارية القائمة بالله تعالى، وهو متعلق بمشيئته وإرادته، وهذا هو مذهب السلف وأئمة الهدى أهل السنة والجماعة، الذين يقولونَ: إن الله تعالى مستو على عرشه، فوق سبع سماوات، بائن من خلقه، استواء يليقُ بذاته من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل[2].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص٢٩، ص٢٩١.

(٢) الصابوني، عقيدة السلف أصحاب الحديث، تحقيق نبيل السبكي، ص١٣.

obeikandl.com

يقول تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طـه:٥]. فالاستواء فعل يفعله بمشيئته وقدرته سبحانه وتعالى.

والعـرش ثابت بالكتاب والسنة، وإجماع أئمة الفقهاء والسلف ويقـول تعـالى: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ [هـود:٧].وقال: ﴿وهو الغفور الودود* ذو العرش المجيد* فعال لما يريد﴾ [البروج: ١٤-١٦].

وفي الحديث الشريف عن ابن عباس –رضي الله عنه– قال: كان النبي ﷺ يقول عند الكرب: «**لا إله إلا الله، العليم الحكيم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم**»(١).

والمـأثور عـن السلف رضوان الله عليهم، أن الكرسي موضع القدمين، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- موقوفًا. أنه قال: الكرسي موضع القدمين، والعرشُ لا يقدره قدره إلا الله تعالى(٢).

وقال بعضهم: إن الكرسي هو العرش، لكن الأكثرونَ على أنهما شيئان، والأول هو الصحيح الثابت صححه الأئمة(٣).

وقد فسر علماء الكلام من المعتزلة الاستواء المذكور في قول الله تعـالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ بأن استوى بمعنى الاستيلاء والقهر، فيقول قائلهم القاضي عبد الجبار: المراد بالاستواء، الاستيلاء، والاقتدار، كما يقال: استوى الخليفةُ على العراق(٤). وهذا تأويل ينافي

---

(١) ابن خزيمة، التوحيد، جـ١، ص٢٣٢.

(٢) مرجع سابق، جـ١، ص٢٤٩،٢٤٨.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ٦، ص٥٨٥.

(٤) رسائل العدل والتوحيد، مكتبة الحياة، بيروت، ص٣٣٣.

المعنى الحقيقي للآية الشريفة، فعن ربيعة بن عبد الرحمن أنه سُئِلَ عن قول الله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه:٥]. فقال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غيرُ معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق»(١).

وفي الحديث الصحيح ورد عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: «**والعرشُ فوق الماء، والله-فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم**» [البيهقي].

وقال ابن القيم: روى غيرُ واحد بإسناد صحيح عن عبد الرحمن بن مهدي أنه قال: إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن الله كلم موسى، وأن يكون عل العرش، أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم(٢).

ويقول العالم الرباني عبد القادر الجيلاني في كتابه «الغُنْية» يقول عن صفة الاستواء: «ينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل وأنه استواء الذات على العرش لا على معنى القعود والمماسة كما قالت المجسمة والكرامية، ولا على معنى الاستيلاء والغلبة كما قالت المعتزلة لأن الشرع لم يرد بذلك».

والاستواء من الصفات الفعلية التي تتعلق بمشيئة الله تعالى وإرادته عز وجل، بحيث إن شاء سبحانه وتعالى فعلها، وإن شاء لم يفعلها، وإن كل صفة فعلية فهي صفة ذاتية من جهة قدرة الله تعالى على فعلها في أي وقت شاء سبحانه وتعالى.

إن أهل السنة يثبتون صفة الاستواء لأنه دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح.

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ٥، ص٤٠.

(٢) ابن القيم، اجتماع الجيوش الإسلامية، ص١٣٤.

ولــذا فإنهم يؤمنونَ إيمانًا جازمًا بأن الله تعالى مستو على عرشه استواءً يليقُ بجلاله وعزته وعظمته وذلك من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحـريف ولا تعطيل مخالفين بذلك الجهمية والمعتزلة الذين عطلوا صفة الاستواء الثابتة له تعالى بما يليقُ به.

يقــول الإمام الدارمي -رحمه الله-: الله تعالى فوق عرشه، فوق سماواته، بائن من خلقه، فمن لم يعرفه بذلك، لم يعرف إلهه الذي يعبد وعلمه من فوق العرش بأقصى خلقه وأدناهم، واحد لا يبعد عنه شيء، **﴿لا يعــزب عــنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض﴾**[سبأ:٣]. سبحانه وتعالى عما يصفه المعطلون عُلوًا كبيرًا(١).

وقد روى أبو بكر الخلال في السنة عن قتادة بن النعمان أنه سمعَ النبي ﷺ يقول: «**لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه**»(٢).

ومن الصفات الفعلية:

النزول

الـــنزول من الصفات الفعلية لكنَ علماء الكلام يؤولون أحاديث الـــنزول أي نزول الله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا مع أنها متواترة. ففـــي الحديث الصحيح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قـــال: «**ينزلُ ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيبُ له، مَنْ يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفرُ له**» [رواهُ البخاري].

---

(١) الدارمي، الرد على الجهمية، ص٢٧١.

(٢) الذهبي، العلو، ص٥٢.

وقد زعم علماء الكلام أنه لو قبلنا بإثبات النزول فهذا يعني اتصاف الله تعالى بصفات الأجسام من الانتقال والحركة ولهذا أولوا معنى الحديث إلى قولهم أن ذلك يعني نزول رحمة الله ولطفه ونعمه لعباده، أو نزول الملائكة المقربين بأمره.

أمَّا أهل السنة والجماعة فإنهم قرروا وجوب الإيمان بحديث النزول، وإثبات ما جاء به من وصف لله سبحانه وتعالى، فلفظ الحديث صريح، لا يحتاجُ إلى تأويل ولا يحتمل المجاز.

يقول الإمام ابن خزيمة في كتابه التوحيد وإثبات صفات الرب: ((نشهدُ شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه، مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى ﷺ لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل، والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه ﷺ بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم، فنحنُ قائلونَ مصدقونَ بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية، والنبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول))(١).

من ذلك نجد أن أهل السنة والجماعة يعتقدونَ بصفة النزول لله تعالى دون تكييف كما دل على ذلك حديث رسول الله ﷺ.

صفة الكلام

الكلام صفة ذات باعتبار نوع الكلام، وصفة فعل باعتبار تعلقها بإرادة الله سبحانه وتعالى ومشيئته، فالله سبحانه وتعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، يتكلمُ بصوت يسمع. يسمعه من شاء

(١) ابن خزيمة، التوحيد وإثبات صفات الرب، ص١٢٥.

من خلقه. وسيسمعه المؤمنونَ في الآخرة ممن سبقت لهم الحسنى. يقول تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليمًا﴾ [النساء: ١٦٤]. وهذا يعني أن موسى عليه السلام سمع الله تعالى من غير واسطة.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وقول الجمهور وأهل الحديث وأئمتهم أن الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء، وأنه يتكلمُ بصوت كما جاءت به الآثار والقرآن وغيره من الكتب الإلهية كلام الله تعالى تكلم به بمشيئته وقدرته، ليس ببائن عنه مخلوقًا، ولا يقولونَ إنه صارَ متكلمًا بعد أن لم يكن متكلمًا ولا أن كلام الله تعالى حدث من حيث هو حادث، بل ما زال متكلمًا إذا شاء وإن كان كلم موسى وناداهُ بمشيئته وقدرته فكلامه لا ينفد"(١).

موقف المعتزلة والجهمية من صفة الكلام:

يرى المعتزلة والجهمية أن كلام الله تعالى ليس من صفاته وإنما هو مخلوق له خلقه الله تعالى في غيره، فيقولون: إن كلام الله تعالى مخلوق له، يخلق لنفسه كلامًا ما في جسم من الأجسام فيكون فيه متكلمًا، وأنه لم يكن متكلمًا قبل أن يَخْلق لنفسه كلامًا(٢).

فالمعتزلة ينكرونَ أن يكون الله لم يزل متكلمًا وهذا يعني قولهم بحدوث كلام الله عز وجل ومن هنا جاء تسميتهم كلام الله مخلوقًا.

يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي: إن القرآن كلام الله تعالى ووحيه، وهو مخلوق محدث، أنزله الله تعالى على نبيه، ليكون علمًا ودالاً

(١) ابن تيمية، فتاوى، جـ١٢، ص١٧٣.

(٢) الإمام أبي مظفر طاهر الإسفراييني، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرقة الهالكة، تحقيق كمال الحوت، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣، ص٦٤.

على نبوته. وإذن هو الذي نسمعه اليوم ونتلوه، وإن لم يكن محدثًا من جهة الله تعالى فهو مضاف إليه على الحقيقة(١).

ولهذا نلاحظ أن المعتزلة ينفون صفة الكلام عن الله تبارك وتعالى، وعلى أساس هذا القول يقولون بخلق القرآن.

إن المعـتزلة والجهمية يرونَ أن كلام الله عز وجل مخلوق، خلقه الله تعـالى في غيره أي أنه منفصل عنه وليس من صفاته عز وجل فهم ينفون عنه صفة الكلام قال الأشعري: أنكرت المعتزلة بأسرها أن يكون الله تعالى لم يزل متكلمًا(٢).

وقال الإسفراييني في التبصير في الدين، يقول المعتزلة: إن كلام الله تعـالى مخلوق له، يخلق لنفسه كلامًا في جسم من الأجسام فيكون فيه متكلمًا، وأنه لم يكن متكلمًا قبل أن يخلق لنفسه كلامًا(٣).

فالمعتزلة ينفون صفة الكلام عنه سبحانه وتعالى.

رأي الأشاعرة في كلام الله:

يثبت الأشاعرة صفة الكلام لله عز وجل ويرونَ أن كلامه صفة ذاته، وهم يثبتونَ صفة الكلام ضمن الصفات السبع الذاتية التي أثبتوها إثباتًا حقيقيًا دون غيرها من صفات الله، وهذه الصفات السبع القائلين بهـا هي: العلم، القدرة، الحياة، الإرادة، السمع، البصر، الكلام، بينما أولـوا باقي الصفات ويرى الأشاعرة أن كلام الله تعالى معنى واحد لا يتعدد، وأن الله تعالى لا يتكلم بمشيئته واختياره، وأنه سبحانه وتعالى لا يتكلمُ بحرف وصوت.

---

(١) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص٥٢٧.

(٢) الأشعري، مقالات الإسلاميين، جـ١، ص٢٦٣.

(٣) الإسفراييني، التبصير في الدين، ص٦٤، وقد سبق الإشارة للنص في الصفحة السابقة.

هكـــذا يثبـــت الأشاعرة صفة الكلام لله عز وجل ويقولون أن كلامـــه صفة ذاته وأنه معنى واحد قديم قائم بذات الله تعالى أزلاً وأبدًا وهـــو الأمر بكل ما أمر الله به، والنهي عن كل ما نهى الله عنه، والخبر عن كل ما أخبر الله عنه. إن عبَّر عنه بالعربية كان قرآنًا، وإن عبَّر عنه بالعبرية كان توراة، وإن عبر عنه بالسوريانية كان إنجيلاً، أي أن الأمر والنهي والخبر عند الأشاعرة ليست أنواعًا ينقسمُ الكلام إليها، وإنما هي صـــفات للكـــلام، على غرار وصف الشخص الواحد بأنه، ابن لزيد، وعم لعمرو، وخال لبكر(١).

موقف أهل السنة والجماعة من مسألة صفة الكلام:

يثبـــت أهل السنة والجماعة صفة الكلام لله عز وجل ويرونَ أنها صـــفة كمال ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة والعقل، وأنها لا تشبه صفات المخلوقين، وأنها صفة ذات وفعل في الوقت ذاته، فالله سبحانه وتعـــالى لم يـــزل متكلمًا بما شاء إذا شاء، وكيف شاء، وبكلام يقوم بنفسه، وبصوت مسموع لا يشبه أصوات خلقه.

يقـــول صـــاحب مختصر الصواعق المرسلة: لقد دلت النصوص النبوية أنه يتكلم إذا شاء بما شاء، وأن كلامُه يُسمع، وأن القرآن العزيز الـــذي هو سور وآيات وحروف وكلمات عين كلامه حقًا، لا تأليف ملـــك ولا بشـــر. وأنـــه ســـبحانه وتعالى الذي قال بنفسه: (المص، وحمعســـق، وكهيعص). وأن القرآن جميعه حروفه ومعانيه نفس كلامه الـــذي تكـــلم به، وليس بمخلوق، ولا بعضه قديمًا وهو المعنى، وبعضه مخلوق وهو الكلمات، والحروف، ولا بعضه كلامه وبعضه كلام غيره،

---

(١) محمـــد بـــن صالح العثيمين، رسائل في العقيدة، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـــ، ص ٨٦،٨٧.

ولا ألفـــاظ القــرآن الكريم وحروفه ترجمة ترجم بها جبرائيل أو محمد -عليهما السلام- عما قام بالرب من المعنى من غير أن يتكلم الله بها. بـــل القــرآن الكــريم جميعه كلام الله، حروفه ومعانيه، تكلم الله به حقيقة(١).

---

(١) محمـــد الموصلي، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم، ط مكتبة الرياض الحديثة، جـ٢، ص٢٩٣-٢٩٤.

obeikandl.com